الخوف في الشعر الأندلسي

د. مقداد رحيم

الجامعة المستنصرية/ كلية التربية الأساسية

خلاصة البحث

إنّ التفكيرَ بالموتِ والخوف منه كان مما يُراودُ الإنسانَ في كل مكان وفي كل زمان، بوصفة نهاية لابد منها للحياة، وقد عزّ الخلودُ على طالبيه، غير أن الخوفَ أحياناً يُصبحُ خوفاً مرضياً لا دواءَ له، فيُفسد الحياةَ ويُنغصُّها، وقد واجه العرب المسلمون في الأندلس الخوفَ بأنواعه المختلفة، كان الموتُ والعذابُ المشتَرَكَ الأوسعَ فيها، كما دلَّ على ذلك شعرُهم.

وقد اشتملَ هذا الشعرُ على ثلاثة اتجاهات للخوف، أولها خوف المسلمين المؤمنين من عذاب الله سبحانه وتعالى الآخرة، وثانيها خوف المذنبين من عقوبة السلاطين والحُكّام في الدنيا، وثالثُها خوفُ أصحاب الدنيا من مفارقتها وهم يحرصون على لذّاتها ومُتعها ومباهجها، ويطمعون في المزيد منها.

وقد كشف البحثُ عن أنّ هذه الاتجاهاتِ الثلاثةَ وُجدتْ في الشعر العربي في الأندلس منذ وقتٍ مبكرٍ جداً واستمرت حتى وقتٍ متأخر من الوجود العربي هناك، وقد شملتْ كلَّ الحقب الزمنية، وأنّ المجتمع الأندلسي كان مُحاصَراً بالخوف سواءً أكان خوفاً إيجابياً يؤدّي إلى صالح الأعمال كما هو الحال لدى المسلمين المؤمنين، أم خوفاً سلبياً يؤدّي إمّا إلى التذلّل والتخضّع للسلطان وربما مواجهة التنكيل والموت على يديه كما هو الحال لدى أصحاب الزلل عن خطة نظام الحاكمين، أو إلى اليأس والقنوط والتأسُّف المستمر على الدنيا وانقضاء زمن التمتّع بملذاتها كما هو الحال لدى طالبيها، وهو في كل الأحوال يُشير إلى أنّ الحياة في الأندلس لم تكن كلها رفاهاً، ولم تكن هي الفردوسَ الآمنَ دائماً.

وكان لهذا الخوفِ الفضلُ في نظم عددٍ هائلٍ من القصائد يمكن معه تأسيس اتجاهٍ شعري جديد يتفرّعُ من الرثاء ونسميه رثاءَ الحياة، فيتضمن رثاءَ النفس وهي تغادر الحياة، ورثاءَ الحياةِ نفسها وهي تُغادر، أما الخوفُ من السلطان فيمكن أن ينضوي تحت اتجاه الشعر السياسي.

كما دلّ هذا الشعر على إسهام كل فئات المجتمع وطبقاته فيه، ولم يستطع الكثيرون إخفاء خوفهم من الموت أو الخوف من العقوبة في الدنيا أو الآخرة، فضلاً عن تأكيده أنّ الشعر بقي صالحاً للتعبير عن المشاعر والتأثير فيها، وكان رسولاً مسموعاً دائماً وناجح المسعى أحياناً للعطف والصفح والغفران لدى الملوك والسلاطين وأصحاب القرار في الدول الأندلسية. أما تلك القصائد التي لم تكن مسموعةً ولا ناجحةَ المسعى في استدرار العطف ونوال العفو والنجاة من العقوبة فقد كانتْ مَحملاً للأمل المنشود في تحصيل ذلك. كما كان هذا الغرضُ رسولاً إلى الله سبحانه وتعالى من قبل المؤمنين ورجال الدين والفقهاء الذين صدرتْ عنهم مئات القصائد التي تغصّ بمعاني الاستغفار والتوبة، فضلاً عن الكثير من معاني الدين الإسلامي الحنيف.

وفضلاً عن ذلك كله فإنّ هذا الشعر استطاع أن يُثبتَ أنه قادرٌ أن يكون وثيقة تاريخية مساعدة تستطيعُ أن تكشف عن بعض حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وملابساتها، لاسيما وهو يتعرّضُ إلى المعنى الحقيقي للموت وليس المعنى المجازي له.

أما من الناحية الفنية فقد اتكأتْ قصيدة الخوف الأندلسية على أغلب أوزان الشعر العربي الستة عشر، وتلونتْ موسيقاها بمختلف الإيقاعات، ولم تقتصر على وزنٍ عدّهُ القدماءُ جليلاً ثقيلاً دون وزنٍ كانوا يعدّونه هزلياً خفيفاً، وكان مقياسُ ذلك بحسب ما أرى هو إيقاعُ نفس الشاعر ساعةَ نظم القصيدة، واستجابتُهُ له دون التفكير بتحضير ما يراه ملائماً من الإيقاعات الشعرية دون سواه. وما يُقال عن الأوزان ينطبقُ على القوافي، فقد تنوّعتْ بين مُطلق ومقيّد، كما تنوعت حروف الرويّ فيها لتشملَ حتى النادرَ الثقيلَ منها مثل حرفي الثاء والطاء.

ومما يُلاحظُ أن عدةَ قصائد من هذا الشعر استطاعت أن تؤثرَ في نفوس شعراء آخرين في أجيالٍ متعاقبة ليعارضوها، فكانت لدينا مجموعة كبيرة من القصائد موحّدةُ الوزن والقافية والروي والموضوع.

أما حرارة النظم وقوتُــهُ فلا نكاد نجدهما في قصائد الخوف من الله عزّ وجل كما نجدهُما في قصائد الخوف من السلطان والخوف من الموت نفسه، ذلك أنّ المسلم المؤمن يتوجّهُ في خوفه إلى الله سبحانه وتعالى بروحٍ ساكنة مطمئنة، وهو مؤمن تمام الإيمان بأنه غفور رحيم، ومُقبلٌ على حياة أخرى خالدة، بينما الخائف من السلطان يتوجّه إليه وهو يائس من رحمته وعفوه، واثقٌ من بطشه وتنكيله، فتفور نفسُه بالجزع، وتطفحُ مشاعرُهُ بالفقدان، ومثلُه المُتــشبّثُ بالدنيا الطامعُ بمزيدٍ من العيش، الذي يجد في الموت انقطاعاً تماماً عن الحياة، و زوالاً لملذّاتها.

استجاب الشعر العربي لمعطيات الحياة الجديدة في شبه الجزيرة الأيبيرية بعد الفتح العربي الإسلامي لها في العام الثاني والتسعين من الهجرة النبوية الشريفة، وتسلل لجميع مناحي تلك الحياة، وأخذ الشعراء يعبرون به ومن خلاله عن مشاعرهم وأفكارهم الخاصة، كما يعبرون عن أمور الدين والمعتقدات والآراء السياسية والعلمية وحتى الفلسفية على انحسارها في الأندلس بشكل عام.

وقد أتاح لنا الشعرُ في الأندلس ما أتاحه لنا رديفُهُ في المشرق من كمٍّ هائلٍ استوعب جميع جوانب الحياة مع احتفاظه بما يتميز به عنه، ومن تلك الجوانب العلاقةُ بالآخَر التي تشعبتْ لتشمل الخالقَ في قدرته السرمدية الشاملة، والسلطان في قدرته المحدودة الزائلة، والموت حيث زوال الحياة. وقد بدا الشاعر الأندلسي لصيقاً بهذه العلاقات مشدوداً لها على أنحاءَ مختلفةٍ تتحكّمُ بها عواملُ كثيرةٌ لا ينبغي تجاهلُ العاملِ الذاتي منها على أية حال.

أولا: الخوف من الله

عبّر الشاعر الأندلسي المسلمُ المؤمن عن علاقته بالله سبحانه وتعالى، واستلهم من خلال ذلك كثيراً من اشتراطات العقيدة الإسلامية ومستلزماتها من خلال الشعر، وقد غلب على هذا النوع من الشعر معاني الاستغفار والاستشفاع والاسترحام، وتناول قسم كبير منه معاني العاقبة بعد الموت من خلال استذكار الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي تتعلق بالحساب في الآخرة والجزاء على ما تنصُّ عليه صحائفُ الأعمال، والتوبة وتوخّي حُسنِ العاقبة.

هذا أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت الأندلسي (ت529هـ) يُقرُّ بحتمية الموت ولا يُخفي خوفه من عاقبته وهو يواجه ربَّه يوم الحساب وقد قلَّ زادُهُ لمكابدة ذلك اليوم:

سكنتُكِ يا دار الفناءِ مُصدِّقـاً	بأنّي إلى دار البقـاءِ أصيـرُ
وأعظمُ مـا في الأمرِ أنّيَ صائرٌ	إلى عادلٍ في الحكمِ ليس يجورُ
فيا ليت شعري كيف ألقاهُ عندَها	وزادي قليلٌ والذنوبُ كثيـرُ
فإنْ أكُ مَجزيّاً بذنـبي فإنني	بشرِّ عقابِ المذنبيـن جديـرُ
وإنْ يكُ عفوٌ منهُ عنّي ورحمةٌ	فـثَمَّ نعيـمٌ دائمٌ وسـرورُ (1)

وهذا ابن أرقم النميري (محمد بن أحمد بن رضوان ت694 هـ) يُقبلُ على الله سبحانه وتعالى خائفاً خاضعاً معترفاً بذنوبه غير أنه طامعٌ بعفوه متوسلٌ إلى ذلك بشفاعة الرسول الكريم محمد (ص)، وبدعاء زائري قبره بالرحمة له:

أتيتُ إلـى خالقي خاضعاً ... ومَنْ خدُّهُ في الثرى يخضعُ
وإنْ كنتُ وافيتُهُ مجرماً ... فإنّي في عفوهِ أطمعُ
وكيفَ أخافُ ذنوباً مضتْ ... وأحمدُ في زلّتي يَشفعُ!
فأخلِصْ دعاءكَ يا زائري ... لعلّ الإله بهِ يَنفعُ(2)

وقد شاع معنى الاستشفاع بالرسول الكريم محمد (ص) ليخفف من وطأة ما ينتظره العبدُ من العقاب في هذا الاتجاه من الشعر الأندلسي، بل إنّ كثيراً من الشعراء الأندلسيين توجهوا بالخطاب إلى الرسول (ص) مباشرةً في طلب ذلك، ومنهم ابنُ فُركون (ت ق9هـ) الذي يقول:

ألا يا رسولَ اللهِ دعوةَ نازحٍ ... لهُ في النوى والقربِ فكرٌ مُقسّمُ
يراكَ بمكنون الضمير فقلبُهُ ... عليكَ وما حلّ المنازلَ يقدُمُ
أنا المذنب الجاني وأنتَ شفيعُهُ ... ومثلكَ مَن يُرجَى ومثلي يُرحَمُ
....
وما لي إذا لاقيتُ ربي وسيلةٌ ... سوى أنني أرجو وأنّي مسلمُ
وما ضاقَ عفوُ اللهِ عن مذنبٍ وإنْ ... تعاظمَ منهُ الذنبُ فالعفوُ أعظمُ(3)

كما شاع معنى طلب الدعاء والترحُّم في هذا الغرض، فنصّ كثير من الشعراء على أهمية الدعاء لهم بعد الموت ليكون ذلك مخففاً للعذاب الذي ينتظره المرءُ بعد الموت، ومن أولئك علي بن جعفر بن همشك الذي طلب أن يُكتب على قبره:

لعمركَ ما أردتُ بقاءَ قبري ... وجسمي فيه ليس له بقاءُ
ولكني رجوتُ وقوفَ بَرٍّ ... على قبري فينفعني الدعاءُ
"سبيلُ الموتِ غايةُ كلّ حيٍّ" ... فكلٌّ سوف يلحقُهُ الفناءُ(4)

ومنهم ابن الزقاق البلنسي (علي بن إبراهيم ت 528هـ) في قوله:

أإخواننا والموتُ قد حال بيننا ... وللموتِ حكمٌ نافذٌ في الخلائق
سبقتُكمُ للموتِ والعمرُ ظِنّةٌ ... وأعلمُ أنّ الكلَّ لابدّ لاحقي
بعيشكمُ أو باضطجاعيَ في الثرى ... ألمّ نكُ في صفوٍ من الودّ رائق؟

فمَنْ مَرَّ بي فليمضِ بي مُترحِّماً ولا يكُ متسياً وفاءَ الأصادقِ(5)

وقد أثقلَ الخوفُ من الله كاهلَ ابن الزبير (أحمد بن إبراهيم ت 708هـ) حتى انشغلَ عن أمورِ الدنيا لينشغلَ بأمرِ ذنوبه والتدبُّر لانجلاء غمِّه بها قبل الموت، يقول:

مالي ولِلتسآلِ لا أمَّ لي إنْ سلْتُ مَنْ يَعزِلُ أو مَنْ يلي؟

حسبي ذنوبي أثقلتْ كاهلي ما إنْ أرى غمّاءها ينجلي(6)

كما انشغلَ أبو محمد بن حنلم عن الاحتفال بالعيد متذكراً وعيدَ ربه بفراق الدنيا والحساب في الآخرة، فيقول:

يقولون لي خلِّ عنكَ الأسَى ولُذْ بالسرورِ فذا يومُ عيدْ

فقلتُ لهم والأسى غالبٌ ووجديَ يحيى وشوقي يزيدْ

توعَّدني مالكي بالفراق فكيفَ أُسَرُّ وعيدي وَعيدُ؟(7)

ويبلغُ الخوف مبلغه من نفس ابن الفرضي القرطبي (عبد الله بن محمد بن يوسف ت 403هـ) أنْ يتوجَّه بالدعاء إلى الله سبحانه وتعالى أن يغفر له ما تقدَّمَ من ذنوبه التي لا يسعه إخفاؤها يومَ تُنشَر الصحائف، يقول في ذلك:

أسيرُ الخطايا عندَ بابكَ واقفُ على وجلٍ ممّا به أنتَ عارفُ

يخافُ ذنوباً لم يغبْ عنك غيبُها ويرجوكَ فيها فهو راجٍ وخائفُ

ومَن ذا الذي يرجو سواكَ ويتَّقي ومالك من فضلِ القضاء مخالفُ؟

فيا سيِّدي لا تُخزني في صحيفتي إذا نُشرتْ يوم الحساب الصحائفُ(8)

أما ابنُ جزي (محمد بن أحمد بن عبد الله ت 741هـ)) فقد كان يتمنى الاستشهاد في سبيل الله ليغفرَ له ذنوبَه ومعاصيه فينجو من عذاب النار في الآخرة. يقول:

قصدي المؤمَّلُ في جهري وإسراري ومطلبي من إلهي الواحد الباري

شهادةٌ في سبيل الله خالصةٌ تمحو ذنوبي وتُنجيني من النار

إنَّ المعاصيَ رجسٌ لا يُطهِّرُها إلاَّ الصوارمُ من أيمانِ كُفّارِ(9)

ويستذكر ابنُ حزم (علي بن أحمد بن سعيد ت 456هـ) يومَ الحساب وما قد يتبعه من عذابِ الآخرة الذي يؤول إلى ندم العبد عما اقترفه من الخطايا والمعاصي في دنياه، فيقول:

هل الدهرُ إلاَّ ما عرفنا وأدركنا فجائعُهُ تبقى ولذّاتُهُ تَفنى

إذا أمكنتْ منه مسرَّةُ ساعةٍ تولَّتْ كمرِّ الطرفِ واستخلفتْ حزنا

إلى تبعاتٍ في المَعادِ وموقـفٍ تـودُّ لديـهِ أننا لـم تكنْ كُـنّـا
حصلنا على همٍّ وإثمٍ وحسرةٍ وفاتَ الذي كُـنّـا نلـذُّ به عنّـا
حنينٌ لما ولّى وشغلٌ بـما أتى وغـمٌّ لما يُرجى فعيشُكَ لا يهنـا
كأنَّ الذي كُـنّـا نُـسرُّ بكونهِ إذا حققتْـهُ النفسُ لفظٌ بلا معنى(10)

بل إنَّ رعيلاً من الشعراء تعرضوا إلى وصف القبر والخوف مما يمكن أن يُجزى به المسلمُ فيه بعد الدفن مباشرةً، فمن أولئك أبو بكر عبد الرحمن بن مغاور الكاتب (ت 587هـ) الذي يذهب إلى رسم صورة خيالية لموقف الدفن استيحاءً من الموروث الإسلامي، يقول:

أيها الواقف اعتباراً بقـبري استمعْ قولَ عظميَ الرمـيمِ
أودعوني بطن الضريح وخافوا من ذنوبٍ كلومُها بأديـمي
قلتُ لا تجزعوا عليَّ فإنّـي حَسَنُ الظنِّ بالرؤوف الرحيمِ
واتركوني بما اكتسبتُ رهيناً غَلِقَ الرهنُ عند مولىً كريمِ(11)

ويتعرض ابن النشا الوادي آشي (إبراهيم بن عبد الرحمن بن يخلف القيسي ت 700هـ) إلى جزء آخر من هذه الصورة فيقول:

وعنْ قريبٍ أُحَلُّ قبـراً أُطيلُ في قَـعرِهِ الـمُقاما
فـبلّغوا مَن لقيـتموهُ بعديَ يا أخوتي السلاما(12)

ومنهم ابن الفرضي القرطبي وقد وجد عذابَ القبر في خضمٍّ من الوحدة والظلمة وفراق الأهل والأحبابِ مما يُحتاجُ معه الدعاءُ بالرحمة، فيقول مخاطباً الجلالة:

وكنْ مؤنسي في ظلمة القبـرِ عندما يَصدُّ ذوو ودّي ويجفو الموالفُ
لئنْ ضاقَ عنّـي عفوُكَ الواسعُ الذي أُرجّي لإسرافي، فإنّـي لتالفُ(13)

وإلى مثل ذلك ذهب أبو بكر محمد بن ولّاد الشلْطيشي حيث يقول:

أرجوكَ يا ربُّ في سِـرّي وفي علني إنَّ الرجاءَ إليكَ اليـومَ يـحملُني
مَن ذا يُؤنّسُني في القبـرِ منـفرداً إنْ لم تكنْ أنتَ يا مولايَ تُؤنسني
وسوف يضحكُ خلٌّ قد بكى جزعاً بعدي ويسلو الذي قد كان يندبني(14)

إنَّ الخوف الذي يُغلّفُ قلب المسلم المؤمن من عذاب الآخرة ويوم الحساب جعله يُفكّر بالإعداد لهذا اليوم قبل الموت، ويستدرك ما فاته من عمل الخير والصلاح والالتزام بواجبات الإسلام ومتطلبات العبادة، أو بالتوبة مما خالف ذلك، وقد تداولَ هذا المعنى كثيرٌ من الشعراء

الأندلسيين في جملة وافرة من النصوص منها قصيدة القاضي أبي الوليد ابن الباجي (سليمان بن خلف ت 474هـ) التي يقول فيها:

ألهيَ قد أفنيتُ عُمري بطالةً	ولم يثنني عنها وَعيدٌ ولا وعْدُ
وضيّعتُهُ ستين عاماً أعدُّها	وما خير عُمرٍ إنما خيرُهُ العدُّ
وجاء نذير الشيب لو كنتُ سامعاً	لوعظِ نذيرٍ ليس من سمعِهِ بُدُّ
تلبّستُ في الدنيا فلمّا تنكّرتْ	تمنيّتُ زُهداً حين لا يمكنُ الزهدُ
وتابعتُ نفسي في هواها وغيّها	وأعرضتُ عن رُشدي وقد أمكنَ الرشدُ
ولم آتِ ما قدّمتُهُ عن جهالةٍ	فيمكنني عُذرٌ ولا يمكن الجحدُ
وها أنا من وردِ الحِمامِ على مدى	أُراقبُ أنْ أُمسي لديه وأنْ أعدو
وقد فاتني الإعدادُ بالعملِ الذي	به كان يُرجَى القُربُ والفوزُ والخُلدُ
ويُبعدِيَ عن نار الجحيمِ وحرّها	وأنّى لمثلي عن لظى حرّها بُعدُ(15)

ومنها قصيدةُ مرج الكحل (أبو عبد الله محمد بن إدريس ت 634هـ) التي ينصح بها الآخرين باتخاذ تقوى الله طريقاً للنجاة من عذابه في الآخرة، فيقول:

الحمد للهش على كلّ حالْ	بحالٍ حلٍّ وبحالِ ارتحالْ
بَدأنا عَن قُدرةٍ أولاً	ثم يُعيدُ البدءَ بعد اكتمالْ
أرواحُنا دَينٌ لآجالنا	ومَلكُ الموتِ عليها مُحالْ
يقتادنا الموتُ وأعمارُنا	كأنها العيسُ ونحنُ الرحالْ
يا تاركاً أوزارَهُ بعدَهُ	باقيةً لم تستحلْ واستحالْ
إنّا إلى الله وإنّا لهُ	نُعامل الله بهذا المحالْ
هل ينفعُ النفسَ على ضعفِها	محالُها عند شديد المحالْ؟
لا تنتحلْ غيرَ التقى خُطةً	فإنّ تقوى الله خيرُ انتحالْ
واستغفر اللهَ على ما مضى	وجدّد التوبةَ في كلّ حالْ
واذكرْ إذا حلتَ فكمْ نادمٍ	لم يُغنِهِ من ندمٍ حينَ حالْ
قرتْ عيونُ شاهداتٍ لها	بنورِ مَنْ تشهدُ فيهِ اكتحالْ(16)

ولأبي إسحاق الألبيري (إبراهيم بن مسعود ت 460هـ) قصيدة مهمة في هذا الشأن يقول فيها:

أَأحورُ عن قصدي وقد برحَ الخفا | ووقفتُ من عُمري القصيرِ على شفا
وأرى شؤونَ العينِ تُمسكُ ماءها | ولَقبلُ ما حكتِ السحابَ الوكّفا
وأخالُ ذاك لعبرةٍ عرضتْ لهـا | من قسوةٍ في القلبِ أشبهتِ الصفـا
ولقلَّ لــي طولُ البكاءِ لــهفوتي | فـلربمـا شفعَ البكاءُ لمن هفـا
إنَّ المعاصي لا تُـقيمُ بمنـزلٍ | إلا لــتجعل منــه قاعاً صفصفـا
ولو انني داويتُ معطبَ دائهـا | بمراهمِ التقوى لوافقتُ الشـفـا
ولعفتُ موردَها المشوبَ برنقها | وغسلتُ رينَ القلبِ في عينِ الصفـا
وهزمتُ جحفلَ غيِّها بإنــابةٍ | وسللتُ من ندمٍ عليها مُرهفـا
وهجرتُ دنيا لم تزل غــدّارةً | بمؤمّليها المُمحضينَ لهـا الوفـا
سحقتْهمُ وديارَهم سحقَ الرّحـا | فعليــهمُ وعلى ديارهمُ العـفـا
ولقد يُخافُ عليهمُ من ربّـــهمْ | يومَ الجزاءِ النـارُ إلا مَن عَـفـا(17)

وقد دعا الطمعُ في الدعاءِ للميِّت عند زيارة قبره أو المرور به إلى نشوء اتجاهٍ شعري واضحِ المعالم لدى شعراء الأندلس هو رثاء النفس من خلال أبيات ينظمونها ويوصون بكتابتها على شواهد قبورهم، حتّى أن ابن الأبّار القضاعي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت 685هـ) يقول في كتابه "تحفة القادم"[18]: "وللناسِ فيما يكتبونَ على القبورِ كثيرٌ مُستجاد"[19].

ثانياً: الخوف من السلطان

نالَ الخوف من السلطان حظّاً وافراً من الشعر الأندلسي، وذلك لطول عمر هذا الشعر، فقد كان حصيلةَ ثمانيةِ قرون من الزمان تعاقب على الأندلس خلالها سلسلةٌ طويلة من أصحاب السلطة والمتنفّذين فيها. وكان لكلِّ حقبة من الحقب التاريخية منــتقدوها من الشعراء هناك، كما كان لكلِّ حاكمٍ ذي سلطانٍ منــتقدون ومعارضون لهجوا بحقيقة ما يؤمنون به من آراء، فكان ذلك طريقاً سهلاً للوصول إلى عقوبة وخيمة على أيدي الحاكمين والسلاطين.

وقد شملَ الخوفُ من السلطان أصحابَ السلطان أنفسَهم في حال العزل أو تغيُّر الأحوال، أو ارتكاب الأخطاء أمامَ صاحب الأمر والنهي الأعلى في المملكة أو الإمارة، كما سنرى.

كان أبو جعفر بن سعيد (أحمد بن عبد الملك العنسي ت550هـ) ممن عانوا الخوفَ من بطش السلطان، فقد استوزره السّـيّدُ أبو سعيد بن عبد المؤمن غير أنّ أبا جعفرٍ طلب منه أن يُعفيه من الوزارة فلم يفعل، ثم حدث بينهما خلاف على العلاقة بالشاعرة حفصة وكان أبو

جعفر هذا يهواها، وحدثها عن السيد بما لا يليق، فأخذ الأخير يتحيّن له المهالك، فما كان من الشاعر إلاّ الفرار إلى مكانٍ ناءٍ خوفاً من بطش السيد به، تاركاً كلَّ شيءٍ إلا حياتـه وأمنـه، وفي ذلك يقول:

مَن يشتري مني الحياةَ وطيبَها ووزارتي وتأدُّبـي وتهذُّبـي
بمحلِّ راعٍ في ذرى ملمومةٍ زُويتُ عن الدنيا بأقصى مَرتبِ
لا حُكمَ يأخذه به إلاّ لـمـن يعفو ويرؤف دائماً بالمـذنبِ
فلقد سئمتُ من الحياة مع امرئٍ متغصّـبٍ، متغلّبٍ، مـترتّبِ
الموتُ يلحظني إذا لاحظـتُهُ ويقومُ في فكري أوانَ تجـنُّبي
لا أهتدي معَ طولِ ما حاولتُهُ لرضاهُ في الدنيا ولا للمَهربِ(20)

وقد ذاقَ العالمُ النحوي اللغوي ابنُ سيدة (علي بن إسماعيل ت 458هـ) من كأس الخوف هذا، فقد حدثتْ له نبوةٌ "في أيام إقبال الدولة بن الموفّق خافه فيها وهرب إلى بعض أعماله المجاورة، وبقي بها مدة"[21] وبعد أن استبدَّ به الخوف من عقوبة إقبال الدولة وبطشه كتب إليه يستعطفه ويتذللُ له:

ألا هلْ إلى تقبيل راحتك اليُمنى سبيلٌ فإن الأمنَ في ذاك واليُمنا؟
ضَحيتُ فهل في بُرد ظلكَ نومةٌ لذي كبدٍ حرّى وذي مقلةٍ وَسنى؟
فتنضى خطوبٌ طلّحتْها خطوبها فلا غارباً يُـبقين منه ولا متـنا
غريبٌ نأى أهلوهُ عنهُ وشفَّـهُ هواهمْ فأمسى لا يـقرُّ ولا يَهنا
فيا ملـكَ الأملاكِ إنّي محـوّمٌ على الوردِ لا عنهُ أُذادُ ولا أُدنى

إنّ ما في هذه الأبيات من معاني الهوان والذلّ يُفسّر لنا مدى الخوف الذي كان يملأ قلب الشاعر العالمِ الذي لم يُخفِهِ في باقي أبيات القصيدة وبدا متحققاً من عقوبة السلطان له بالموت:

تحققتُ مكروهاً فأقبلتُ شاكياً لعمري أمأذونٌ لعبدِكَ أنْ يُعنى؟
وإنْ تتـأكّدْ في دمي لك نيةٌ بسفك دمي فإني لا أحبُّ له حقنا
دمٌ كوّنَـتْهُ مكرماتُكَ والذي يكوّنُ لا عَتْبٌ عليهِ إذا أفنـى
إذا ما غدا من حرِّ سيفك بارداً فقِدْماً غدا من بردِ نعماكمُ سُخنا(22)

إنّ الخوف الشديد من بطش السلطان جعلَ ابنَ سيدةَ هنا يخافُ السلطانَ، ويتفادى مواجهة الموت على يده، وينسى الموتَ بوصفه حقّاً من حقوق الله، وهو المسلمُ المؤمن.

وعندما يطولُ مقامُ الرمادي (أبي عمر هارون بن يوسف ت 403هـ) في السجن على يد السلطان المنصور بن أبي عامر بسبب أشعارٍ قالها في دولة الخلافة وأهلها[23] يستشعر الخوف من بطش المنصور، ويتحققُ لهُ الموتُ على يديه، واليأسُ من النجاة، فيعبّر عن هذا الخوف في قصيدة طويلة منها قولُهُ يخاطبُ مَن تبكي عليه وهو في السجن، ويطلب منها أن تدّخر دموعَها لذلك اليوم الذي سيشهد بطشَ السلطان بعد أن يتحقق شعورُه بقربه:

أباكيةً يوماً ولم يــأتِ وقــتُــهُ   سينفدُ قبلَ اليومِ دمعُكِ فارفقي
ومذْ لم تريني أنتِ في ثوبِ ضائعٍ   لعمري لقدْ حقّتْ بعيٍّ مُمزّقِ(24)

وفي لحظةٍ من لحظات التفكير في أمر هذه العاقبة، تستولي على الرمادي مشاعر الجزع الشديد فيرثي نفسه بقصيدة يحشد فيها مشاعرَ الخوف واللوعة والحزن والأسف على حياته التي ستضيع، ولابد من مشاركة الكائنات له في مأساته لفداحتِــها، فيقول:

على كَمَدي تَهمي السحابُ وتذرفُ   ومن جَزَعي تبكي الحمامُ وتهتفُ
كأنَّ السحابَ الواكفاتِ غواسلي   وتلكَ على فَقْدي نوائحُ هُتَّفُ(25)

وعندما هجا عبدُ الملك ابنُ غصنِ الحجاري (ت 454هـ) السلطانَ ابنَ ذي النون بقوله:

تلــقّبتَ بالمأمونِ ظلمــاً، وإنني   لآمنُ كلباً حيثُ لستُ مُؤمَّــنَهْ
حــرامٌ علــيهِ أنْ يجودَ بــبشرهِ   وأما الندى فاندبْ هنالكَ مدفَنَهْ
سطورُ المخازي دونَ أبوابِ قصرهِ   بــحُجّابهِ للقاصدينَ مُعــنونَهْ(26)

فإنه يلقَى ما لقيهُ الرمادي من السَّجنِ ثم الخوفِ من بطش السلطان بهِ فيحاول استشفاع ابن ذي النون بالشعر والاعترافَ بذنبه درءاً لبطشه الذي لا يَستبعدُ أن يكون الموتَ بعينه، فبعثَ إليهِ قائلاً:

فديتُكَ هل لي منكَ رُحمَى لعلّني   أُفارقُ قبــراً في الحياةِ فأُقــبَرُ؟
وليس عقابُ المذنبينَ بــمُنكَرٍ   ولكنْ دوامُ السخطِ والعتبِ يُنكَرُ(27)

إنَّ استشفاع ابنِ غصن واعتذارهُ لم يكن بسبب تغيُّر قناعته، وأنه اهتدى إلى صوابٍ فاتَــه ولم يهتدِ إليه من قبل، بل بسبب خوفه الشديد وجزعه من البطش والتنكيل على يد السلطان.

ومن الشعراء الأندلسيين مَن تعرّضَ للخوف من بطش السلطان خارج موطنه الأندلس، وهو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني الحكيم (ت 529هـ) الذي اعتقله الأفضلُ خلال إقامته

وعمله في مصر بسبب حسد أعدائه وسعاياتهم، فضلاً عن فشله في انتشال مركبٍ من الغرق في ماء الإسكندرية وتكبيد الدولة خسائر طائلة، وكان ذلك السببَ المباشر في اعتقاله.

أرسلَ أبو الصلت الداني إلى الأفضلِ يستعطفُهُ بقصيدة طويلة بعد أن تملَّكَهُ الخوف من بطشه به، ومنها قوله:

إنّي دعوتُكَ حينَ أجحفَ بي الردى ... فأغثْ فإني منهُ تحتَ الكلكلِ
فإليكَ مَـفزَعُ كلّ عـانٍ خائفٍ ... ولديكَ فُرجةُ كلّ بابٍ مُقفلِ
قد طالت الشكوى وأقصرُ وقتِها ... مُودٍ بكلّ تصبُّرٍ وتجـمُّـلِ
واشتدت البلوَى وأنتَ لـرفعـها ... فأجبْ فإني قد دعوتُك يا علي
عُمرٌ يـمرُّ وكربةٌ ما تنقضي ... أبدَ الزمانِ وغُـمّةٌ لا تنجلي
وزمان سخطٍ ما لـهُ من آخـرٍ ... ورجاءُ عفوٍ ما لـه من أولٌ
كم ذا التغافلُ عن ولـيِّكَ وحدهُ ... والأمرُ يخرجُ دون كلّ مؤمّلِ(28)

أما أصحاب السلطان المفقود فطالما تعرّضوا لمشاعر الخوف والرهبة بسبب اضطهاد أصحاب السلطان الباقي المتنفذّين في الحكم، ومنهم هاشم بن عبد العزيز (ت 273هـ) الذي كان الأميرُ محمد بن عبد الرحمن يختصه بالوزارة والإمارة، غير أن الأمر اختلف مع ابنه المنذر، فقد نكبَهُ بعد أن ولاّه الحجابة أشدّ نكبة، حيث سجنه وأثقله بالحديد وضرب عُنقَـه فشفى بذلك غيظاً كامناً في نفسه(29).

ولعل هاشماً هذا كان عرفَ ما سيلقاه على يد المنذر فعبّر عن خوفهِ بل رهبته مما سيؤول إليه مصيرُهُ، فكتبَ إلى زوجه "عاج" وهو في سجن المطبق ينتظر ذلك المصير:

وإني عداتي أن أزورك مُطبـقٌ ... وبابٌ منيـعٌ بالحديد مُضـبّبُ
فإنْ تعجبي يا "عاج" مما أصابني ... ففي ريب هذا الدهر ما يُتعجّبُ
وفي النفس أشياءٌ أبـيتُ بغمّها ... كأنّي على جـمر الغضا أتقلّبُ
تركتُ رشادَ الأمرِ إذْ كنتُ قادراً ... عليهِ فلاقيتُ الذي كنتُ أرهبُ(30)

ومنهم الحاجب المصحفي (جعفر بن عثمان ت372هـ) أحدُ رجال دولة الناصرِ خليفةِ الأندلس، والحاجبُ لابنه هشام الخليفةِ بعدَه، غير أنه نُكبَ على يد المنصور بن أبي عامر بعد أن استبد بالحكم وكالةً عن أمّ الخليفة هشام الذي كان صغير السن لم يتجاوز التاسعة من عمره،

حيثُ أودعهُ في سجن المُطبق، وهناك كان ينتظر بطش المنصور بن أبي عامر، فزالتْ ميبتهُ، وخارتْ عزيمتهُ، وتلبّسهُ الخوفُ والهلعُ حتى قال:

لا تـأمننَّ من الزمان تقلُّبـاً   إنَّ الزمانَ بأهلـه يـتقلّبُ
ولقد أراني والليوثُ تهابُني   وأخافني من بعدُ ذاكَ الثعلبُ(31)

وفي أيامِ المنصور هذا نفسه حدثت نكبة الوزير أبي بكر عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت 393هـ) الذي "أمَّرَهُ هشامُ المؤيّد في بعض الأوقات، وسدَّ به الثغر، وفوّضَ إليه أمر طليطلة وقلّدَهُ إياها مع خُطّة الوزارة"(32)، ولكنه اتُّهمَ بالإسهام في مؤامرة ضد المنصور مع ابنه عبد الله وآخرين، وعندما لم تنجح المؤامرة فرَّ هو خوفاً من بطش المنصور، كما فرَّ الآخرون، غير أن المنصور ظفر به وأمر بالتطواف به على جملٍ وهو مقيّد وحبسه في المُطبق.

وقد كتبَ وهو في السجن إلى المنصور بن أبي عامر قصيدة يستعطفه بها ويعبّر عن خوفه وفراره للنجاة مما ينتظره على يديه من مصير، ومن تلك القصيدة قوله:

فررتُ فلم يُغنِ الفرارُ، ومَن يكنْ   مع الله لا يُعجِزْهُ في الأرض هاربُ
ووالله ما كان الفـرارُ لحالـةٍ   سوى حذَرِ الموتِ الذي أنا راهبُ
ولو أنني وُفّقتُ للـرشد لم يكنْ   ولكنَّ أمـر الله لابدَّ غالـبُ
وقد قادنـي جراً إليكَ بـرُمّتي   كما اجترَّ ميْتاً في رُحى الحربِ سالبُ
وأجمعَ كلُّ النـاسِ أنكَ قاتلي   وربّـتَ ظـنٍّ ربُّهُ غيـرُ كاذبِ(33)

وقد استبدَّ الخوفُ بأبي بكرٍ فكتبَ قصيدةَ خوفٍ أخرى يستشفع بها المظفر عبد الملك ابن المنصور لدى أبيه، ومنها قوله:

ألا أيها الحاجبُ المُرتجَى   وأكرمُ مَن كان أو مَن يكونْ
دعوتُك دعوةَ مستصرخٍ   أحاطتْ به واتخنـتْه المنونْ
فإنْ لم تُغثْـني فمن ذا الذي   يلوذُ بـهِ الخائفُ المستكينْ؟(34)

ولم يسلم الوزيرُ ابنُ شُهيد الأندلسي (ت 426هـ) من معاناة الخوف من السلطان، فقد ذاق مرارة الاعتقال على يد الخليفة المعتلي بالله يحيى بن علي بن حمود الذي بويع في قرطبة سنة 412هـ، بسبب بعض آراء كان يجهر بها فضلاً عن سعايات أعدائه، فأودعه السجنَ، وفيه كابد أقسى مشاعر الخوف والهلع مما سيكون من أمر عقوبة الخليفة له، فكتب قصيدته الدالية

يصف فيها تلك المشاعر التي تهتزُّ هلعاً لسماع اهتزاز باب السجن، ويستعطفُ الخليفة لينجو مما كان يخاف، ومنها قوله:

فمنْ مبلغُ الفتيانِ أنّـي بعـدهمْ ... مُقيـمٌ بدارِ الظالمـينَ، وحيدُ
مقيمٌ بدارٍ ساكنوها من الأذى ... قيـامٌ على جمرِ الحِمامِ قُعودُ
وما اهتزَّ بابُ السجنِ إلاّ تفطّرتْ ... قلوبٌ لنا خوفَ الردى وكبودُ
ولستُ بذي قيدٍ يـرنُّ وإنّـما ... على اللحظِ من سخطِ الأمامِ قيودُ(35)

وقد تسلل الخوف إلى السلاطين من آل عبّادٍ واحداً بعد واحد إذا استـثنينا أولَهم القاضي أبا القاسم محمد بن اسماعيل (ت 433هـ) قاضي أشبيلية وحاكمها، فهذا ابنهُ المعتضد أبو عمر عبادُ بن محمد بن إسماعيل اللخمي (ت461هـ) صاحب أشبيلية في عهد ملوك الطوائف وهو يُعاني أشد حالات الخوف بعد أن غضب عليه أبوه القاضي أبو القاسم، وضاقت به الأرض فيربَ من قبضته، غير أن هربه لم يُغنه شيئاً وهو في حالة صراع مع الخوف وعدمِ الطمأنينة، وكان علمَ طغيانَ أبيه الذي قتلَ ابنه إسماعيل أمام عينيه، فأخذ يكتبُ القصيدة تلو الأخرى إلى أبيه يستعطفه ويُزيل الخوف من قلبه، ولما يئسَ كتب إليه يقول:

ولما كبا جَدّي إليكَ ولـم يَسُـغْ ... لنفسي على سوءِ المُقامِ شرابُ
وقلَّ اصطباري حينَ لا ليَ عندكم ... من العطفِ إلاّ قسوةٌ وعتـابُ
فررتُ بنفسي أبتغي فُرجةً لـهـا ... على أنَّ حلوَ العيشِ دونَكَ صابُ(36)

وما ذاقه المعتضد من خوف على يدي أبيه ذاقه ابنُه المعتمد (ت 488هـ) على يديه، عندما كلّفه أبوه بقيادة الجيش للاستيلاء على مالقة فهُزِمَ ولم يستطع ذلك، فما كان من أبيه المعتضد إلاّ أن غضبَ عليه، فاستشعر الخوفَ منه ففرَّ أيضاً، وعندئذٍ كتب إلى أبيه قصيدة يهمنا منها تلك الأبياتُ التي يعبر فيها عن خوفه وجزعه الشديد، فهو يخاطب نفسَه في بعضها محاولاً التخفيف عن ذلك الخوف قائلاً:

سكّنْ فؤادكَ لا تذهبْ بكَ الفِكَرُ ... ماذا يُعيدُ عليكَ البثُّ والحذرُ؟
وازجرْ جفونَكَ، لا ترضَ البكاءَ لها ... واصبرْ فقد كنتَ عند الخطبِ تصطبرُ
وإنْ يكنْ قدرٌ قد عـاقَ عن وطرٍ ... فلا مـردَّ لما يأتـي بـهِ القَـدرُ
وفي البعض الآخر يصفُ حاله ... وقد عبثَ به الخوفُ والجزع، فيقول:
فالنفسُ جازعةٌ، والعيـنُ دامعـةٌ ... والصوتُ منخفضٌ، والطرفُ منكسرُ

وحَلتُ لوناً وما بالجسمِ من سقَمٍ   وشبتُ رأساً ولم يبلغنيَ الكِبرُ(37)

ويرثُ الراضي ابنُ المعتمد (ت 484هـ) الخوفَ من العائلة العبّادية، فينال منه قدراً كبيراً، ويُغلّفُ شطراً واسعاً من حياته وهو مغضوبٌ عليه من لدن أبيه المعتمد، فكتب إليه عدة قصائد استعطاف وقفنا على اثنتين منها، وفيهما يستشعر القتلَ على يد أبيه، ويعبر عن خوفه العميق لذلك، ويتمنى تحاشيه، ففي الأولى يطلبُ من أبيه عدمَ قتله فيفقده مستخدماً معنى "الثُكل"، ويُذكّرُهُ بالعفو وحقن الدم من قبل أسلافه، يقول:

ولا تضمرنَّ الثُّكلَ إنْ كنتَ ذا حجا   فليسَ لبيباً مَن يَبيتُ على ثُكْلِ
وكم حقنَ الأملاكُ قبلكَ من دمٍ   وكانَ لديهمْ سفكُهُ كجنى النحلِ(38)

وفي القصيدة الثانية يجعلُ سخطَ أبيه معادلاً موضوعياً للموت الذي يرهبه، فيقول:

ما لي حُرمتُ رضاكَ لي، وهو الذي   قد كنتُ أرهبُ من زمانٍ أنكَدا؟
إني وحقّكَ واجدٌ بين الحشا   من أجلِ سخطكَ مثلَ حزِّ بالمُدَى
إنْ كانَ لي ذنبٌ فعفوكَ واسعٌ   أو إنْ يكنْ بُغضٌ فقد بانَ الردى(39)

أما ابن زيدون (أبو الوليد أحمد بن عبد الله ت 463هـ) فطالما تعرّضَ لمشاعر الخوف والقلق والرهبة وقد طال حبسُهُ على يد بن جهورٍ، حتّى اضطرَّ إلى الهرب من السجنِ خوفاً مما قد يناله من عقوبةٍ أشدَّ، وقد عبّر عن ذلك في مجموعة من قصائده، منها قصيدته الطائية التي يشير فيها إلى فراره وأمله في العفو، يقول فيها:

فررتُ، فإنْ قالوا الفرارُ إرابةٌ   فقد فرَّ موسى حين همَّ به القِبطُ
وإنّي لراجٍ أنْ تعودَ كبدئها   ليَ الشيمةُ الزهراءُ والخُلُقُ السَّبِطُ
وحِلمُ امرئٍ تعفو الذنوبُ بعفوهِ   وتُمحى الخطايا مثلَ ما مُحيَ الخطُّ
فما لكَ لا تختصّني بشفاعةٍ   يلوحُ على دهري لميسمها علطُ؟
فإنْ يُسعفِ المولى فنُعمى هنيئةٌ   تُنفّسُ عن نفسٍ ألظَّ بها ضغطُ
وإنْ يأبَ إلّا قبضَ مبسوطِ فضلهِ   ففي يدِ مولىً فوقَهُ القبضُ والبسطُ(40)

وقد نال ابنَ زيدونٍ ضغينةٌ من لدن صديقه الأمير أبي الوليد بن جهور خلال فتنةِ ألمّتْ بقرطبة بسبب حُسّاده وأعدائه، ففزعَ ابنُ زيدونٍ وهاله خوفٌ شديد من العاقبة، فهُرِع إلى قريحته الشعرية يستنجدُ بها لدى الأمير، فأسعفته بقصيدته العينية التي يُعرب فيها عن خوفه وشديد جزعه، ومن ذلك قوله:

قل للوزير الذي تأميلُـهُ وَزَري ... إنْ ضاقَ مُضطرَبٌ أو هالَ مُطّـلَعُ
أصخْ لهمسِ عِتابٍ تحتَـهُ مِقَـةٌ ... تُكلِّفُ النفسُ منـهُ فوقَ ما تَـسَعُ
ألستُ أهلَ اختصاصٍ منكَ يُلبسُني ... جمالَ سيماهُ؟ أم مـا فـيَّ مُصطنَعُ؟
لا تستجزْ وضعَ قدري بعد رفعِكَهُ ... فاللهُ لا يرفعُ القَـدرَ الذي تضَـعُ(41)

أما ذو الوزارتين أبو بكر بن عمّار (محمد بن عمّار ت477هـ) فقد استبدَّ به الخوف بعد أن كان سبباً لاعتقال الرشيد ابنِ صديقه وملكه المعتمد بن عباد لدى صاحب أشبيلية، وما ذلك الخوف إلا ظنه الذي أخذ يُحاصِرُهُ بشأن ما سيعاقبُه به المعتمدُ لذلك، وجعله يتردّدُ كثيراً قبل أخذ قراره بالعودة إليه ومواجهته وتلمسِ العطفِ والمغفرةِ لديه، فكتبَ يقول:

أُصدِّقُ ظَـنّي أمْ أُصيخُ إلى صحبي؟ ... وأقضي غريمي أم أُعوج مع الركبِ؟
إذا انقدتُ في رأيي مشيتُ مع الهوى ... وإنْ أتعقّـبْهُ نكصتُ على عقـبي(42)

وقال أيضاً مستعطفاً المعتمد متفادياً أذاه:

حنانيكَ فيمن أنتَ شاهدُ جدِّهِ ... وليس لهُ -حاشا انتصاحكَ- من حسبِ
سأستمنحُ الرُّحمى لديك ضراعةً ... وأسأل سُقيـا من تجـاوزِكَ العَـذْبِ
وإنْ نفحتْني من سمائكَ حَرْجفٌ ... سأهـتفُ: يا بردَ النسيمِ على قلبـي(43)

وإذا كان ابن عمّار قد فاز بعفو ملكه هذه المرة ونجا من عقوبةٍ لم تتعدَّ الخوف، فإنّه نال من الخوف أشدَّهُ عندما لم يفرحْ طويلاً باستيلائه على مُرسية وانفراده بها لنفسه، وكان المعتمد بن عباد قد أرسله لتحصيلها، حيث وقع في قبضة المعتمد بعد فرارٍ دام ستَّ سنوات. وفي هذه المرة لم يكن خوفُهُ عن ظنون وحسب، إنما هو يعرفُ عقوبة مثل ما فعله لدى السلطان مهما كانت درجةُ قرابته منه، وإنَّ كان غيرَ منقطعِ الرجاء، فعبّر عن هذا الخوف بوضوحٍ تام فقال مخاطباً المعتمد:

أخافُكَ للحقِّ الذي لكَ في دمـي ... وأرجوكَ للحبِّ الذي لكَ في قلبي(44)

كما عبّر عن ذلك الخوف في أبيات أرسلها من معتقلهِ إلى المعتمد يقول فيها:

واللهِ مـا أدري إذا ... قالوا: غداً يـومُ اللقـاءِ
ما أقـتلُ الحاليـنِ لي ... إنْ كان خوفي أو حيائي(45)

وعندما يئس من العفو اشتدَّ جزعُهُ ورثى نفسه بقصيدة من أجمل قصائد الرثاء، منها قوله:

عليَّ وإلا ما نِياحُ الحمائمِ وفيَّ وإلاّ ما بُكاءُ الغمائمِ؟
وعنّي أثارَ الرعدُ صرخةَ طالبٍ لثأرٍ وهزَّ البرقُ صفحةَ صارمِ
وما لبستْ زُهرُ النجومِ حدادَها لغيري ولا قامتْ لهُ في مآتمِ
وهل شقّقتْ هوجُ الرياحِ جيوبَها لغيريَ أو حنّتْ حنينَ الروائمِ(46)

وممنْ لم تستثنهِم مشاعرُ الخوفِ وهم خارجُ بلادهم الأندلس الوزيرُ أبو جعفر بن عطية القُضاعي الأندلسي (أحمد بن أبي جعفر بن محمد ت553هـ) الذي عاش وتعلّمَ في مراكش حتى استوزره عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحّدين بالمغرب والأندلس، ولكن حساده وأعداءه لم يُمهلوهُ حتى أوغروا صدر الخليفة عبد المؤمن عليه، فأودعه السجنَ، وفيه كتبَ ابنُ عطية كثيراً من قصائد الاستعطاف التي ضمّنها مشاعرَ خوفه من مصيره المحتوم على يد السلطان، ومن ذلك قصيدتُه النونية التي يُشير فيها إلى شدة خفقان قلبه خوفاً، فيقول:

فعفواً أميرَ المؤمنين فَمَنْ لنا بِـردِّ قلوبٍ هدّها الخفقانُ؟(47)

ويبلغ به الجزعُ إلى فقدان القدرة على الانتظار وهو في معتقلهِ دون معرفة مصيره، فيكتب في ذلك مقصورته التي منها قوله:

أنوحُ على نفسي أم انتظرُ الصفحا؟ فقد آنَ أنْ تُنسَى الذنوبُ وأنْ تُمحى
فها أنا في ليلٍ من السخط حائرٌ ولا أهتدي حتّى أرى للرضى صُبحا(48)

ومن المعاني الإنسانية الخالدة التي وردتْ في هذا الاتجاه تمنّي الموت العاجل تقصيراً لمدة الخوف، لفداحته وعظيم أثره في النفس وفي الوجدان، ومن الشعراء الذين توجّهوا إلى هذا المعنى وتناولوه عنه عبيد الله بن محمد بن الغمر بن أبي عبدة، وكان وزيراً تصرّفَ للأمير عبد الله بن محمد (ت 300هـ) في الكور والمدينة والخيل والقيادة، ثم الكتابة الخاصة بالوزارة. يقول وهو في حال عقوبة إهمالٍ وإعراضٍ وإبعاد أضناهُ الخوفُ، وجعل قلبَهُ في اضطرابٍ، وأحال حياته إلى عذاب متواصل:

صدودٌ ليس يبلغُهُ عتابُ وعتْبٌ ليسَ يثنيه عتابُ
وإبعادٌ بلا ذنبٍ طويلٌ وإعرضٌ وهجرٌ واجتنابُ
فلا سَهرٌ يطيبُ ولا رُقادٌ ولا طعمٌ يسوغُ ولا شرابُ
فجسمي ناحلٌ والجفنُ منّي قريحٌ، والفؤادُ لهُ اضطرابُ
وموتٌ عاجلٌ أحلى وأشهَى إليّ من انْ يُطاولَني العذابُ(49)

ثالثاً: الخوف من الموتِ نفسِهِ

تناولَ الشعراء الأندلسيون قضية الموت بوصفه فراقاً للحياة بكل ما فيها من مُتعٍ وملذّات، وعلاقات وذكريات، وهم في ذلك إنما ينطلقون من منظور دنيويٍّ ماديٍّ محض يستمد مفاهيمه ومعانــيَه من الحياة الدنيا، ويقوم على أساس التشبث بها.

وأول ما يستنفر مشاعر الخوف لديهم هو المشيبُ والكبر، فنراهم يخافون ظهور الشيبِ، ويعدُّونه أول علامة من علامات قرب الموت ومفارقة الحياة، وكذلك يُحسون بقرب الموت عندما يبلغون من العمر مبلغاً ما، ويتفاوتون في مقداره، فإنّ أفضل مرحلة من مراحل العمر هي مرحلة الشباب، حيثُ المتعة اللهو والمرح والافتــتان بمباهج الحياة. هذا موسى بن محمد بن حُدير (ت 320هـ) يقول محدثاً الشيبَ، معرباً عن نفوره منه وعدم احتفائه به:

فيا شــرَّ ضيفٍ حلَّ بي وحلولُـــــهُ ... يـــخبِّرني أنَّ المماتَ قريبُ
وأنَّ جديدي كلَّ يومٍ إلى بِلًـــى ... وأنّيَ من ثوب الشباب سليبُ
فما طيبُ عيش المرء إلاّ شبابُــــهُ ... وليس إذا مـــا بان عنهُ يطيبُ
سأقريكَ يا ضيفَ المشيبِ قِرى القِلى ... فمالك عندي في سواهُ نصيبُ
وأبكي على ما قد مضى من شبيبتي ... بكاءَ محبٍّ قــد جفاهُ حبيبُ(50)

وهذا أبو بكر محمد بن عبد الرحمن الكنتدي (ت 583هـ) يُذكِّرُهُ الشيبُ بقرب الموت فيبكي ويشاطر الحَمامَ شجوها، فيقول:

لأمرٍ ما بكيتُ وهاج شوقي ... وقد سجعتْ على الأيكِ الحَمامُ
لأن بياضها كبياض شيــبي ... فمعنى شجوها قربُ الحِــمامِ(51)

أما أبو الحسن إبراهيم بن علي بن عيّاش فيأسف على أنه تجاوزَ مرحلة الشباب فوجد نفسه متمسكاً بالحياة، مقبلاً عليها، فتمنّى لو تنعكس دورة الحياة فيرجع صغيراً يلهو في الحياة كما يشاء له صغرُ السن من الاندفاع وشدة الرغبة في مباهجها، يقول:

عصيتُ هوى نفسي صغيراً فعندما ... رمتْني الليالي بالمشيب وبالكبــرْ
أطعتُ الهوى عكسَ القضية ليتني ... خُلقتُ كبيراً وانتقلتُ إلى الصغرْ(52)

ويؤكِّد البسطي آخر شعراء الأندلس معنى تمهيد الشيب للموت بقوله:

وقد ذهبتْ منّي القوى وتغيّــرتْ ... وهل قوّةٌ بعدَ الذهابِ تُعاودُ؟
وشاب عذاري واستحال سوادُهُ وبالموت لاشكَّ المشيبُ يُقاوِدُ(53)

وإلى مثل هذا المعنى ذهب عبد الجبار بنُ حمديس (ت 527هـ) في قوله:

بكى الناسُ قبلي فقدَ الشباب ... بدمعِ القلوبِ فما أنصفوهُ
وإنّــي علــيهِ لمستــدركٌ ... من البثِّ والحزنِ ما أهملوهُ
لعمرك ما الشيبُ إمّا بــدا ... بفوديكَ إلاّ الردى أو أبوهُ(54)

وقد يخافُ المرءُ الشيبَ في ذاته بوصفِه مظهراً من مظاهر الضعفِ والكبر التي لا يحبُّ أحدٌ أن تظهر فيه ولاسيما عندما يتعلقُ الأمر بعلاقات الرجال بالنساء، وقد عبّر عن هذا المعنى محمد بن عبد الملك بن زهر الأشبيلي الطبيب في قوله:

أنّي نظرتُ إلى المرآة قد جُليتْ ... فأنكرتْ مقلتــايَ الذي رأتــا
رأيتُ فيها شُييخاً لستُ أعرفهُ ... وكنتُ أعهدُهُ من قبلِ ذاك فتى
فقلتُ أين الذي بالأمس كان هنامتى ترحّلَ عن هذا المكان متى؟
فاستجهلتني وقالت لي وما نطقتْ ... قد كان ذاك وهذا بعدَ ذاك أتى
كان الغواني يقلنَ يا أخي ولقــد ... صار الغواني يقلن اليومَ يا أبــتا(55)

والغريبُ في أمر الشيبِ أن الأندلسيــين يعدّونه أولَّ الموتِ حتى إذا لم يبلغ العمرُ ما يحسنُ معه الظنُّ بقرب الموت، فقد نزلَ الخوفُ من قرب الموت في قلب ابن أحلى (أبي عبد الله محمد بن علي ت 645هـ) بنــزول الشيب في شَعر رأسه، فأخذ يشعر باليأس من الحياة ويعزفُ عن الإقبال على الدنيا مع أنه لم يبلغ الثلاثين عاماً، فهاهو يقول:

خليليّ قد ضاقتْ عليّ مذاهبي ... وكففتُ نفسي عن جميع مطالبي
وضاقتْ جفونُ العينِ عن عبراتها ... لأمــرٍ يــراهُ الخَبــرُ ضربةَ لازبِ
وشبتُ ولم أبلغْ ثلاثين حجّــةً ... لــحُجّةِ جبّارٍ على الخلــقِ غالبِ
دعاني وشجوي والأسى وبلابلي ... ولا تعذلاني في الدموعِ السواكبِ
ألــذُّ بالدنيا وأرنو لحُــسنها ... ولستُ إليــها بعدَ موتــيَ آيبِ؟
لعمري لقد أصبحتُ سكرانَ حائراً ... جديراً بما عندي، ولستُ بشاربِ(56)

وعندما بلغ البسطي (عبد الكريم بن محمد القيسي ت أواخر القرن التاسع الهجري) الأربعينَ من العمر ألحّ عليه هاجسُ الموتِ فمنعَ عنه النومَ وسربلَه بالبكاء خوفاً، ففيه مفارقةٌ لمن يحب في دنياه:

مرورُ الأربعينَ أطارَ نومــي ... وأجرى فــوقَ صفحِ الخدّ دمعي
وعِلمي بالرحيلِ غداً وتركي ... من اهلي مَن غدا بَصَري وسَمعي(57)

وقد تداول أمثالَ هؤلاء الشعراء معاني الأسف والألم والحسرة على مفارقة الحياة، والخوف الشديد من الموت الذي هو عاقبتها وهم يواجهونه وجهاً لوجه، وبه تنتهي آمالهم بمفاتنها. يقول أبو الحسن بن الفضل الأريولي أسفاً على مفارقة الحياة قبل أن يبلغ منها مراده:

فوا أسـفاً أتدركُنــي المنايا ولم أبلــغْ من الدنيا مــُرادي؟
وما هوَ غيرَ أنْ أُدعَى وحسبي حَيا الإخوانِ أو حربُ الأعادي(58)

ويبلغ الخوفُ من الموت مبلغَهُ المؤثّرَ من نفس أبي الحسن علي بن زيد النجار الأشبيلي حتّى أقعدَهُ عن الدنيا، وبثّ مشاعر اليأس والهلع في حياته برمتها حتّى تولاّهُ خفقانُ القلب والبكاء المتواصل، فيكتب نونيته التي يقولُ فيها:

أما تشتفي منّي صروفُ زمانــي وهلاّ كفى الأيامَ أنّــيَ فانِ؟
وحسبُ المنايا أنْ خلعتُ شبيبتي ولولا حذاريها خلعتُ عِناني
فغيّضتُ أمــواهَ الدموع بمُقلتي وأخمدتُ نيرانَ الجوى بجناني
وتنزّهتُ عن سمعِ القيانِ مسامعي وقدّستُ عن بنتِ الدنانِ بناني
فأشرقَ عُذري للنهى فعــذرنني وأظلمَ في عيني الصبا فلحاني
بدا ليَ أنّ الدهــرَ ليس مُصرّداً كؤوسَ الردى أو يشربَ الملوانِ
فطار فؤادُ البرق يحكي جوانحي وأرسلَ عينيه الحيــا فبكانــي
وأبصرتُ ما بين المصارعِ مصرعي سريعاً رماني الدهرُ أو متواني(59)

ومن القصائد التي فاضتْ بأوصاف الخوف والأسف والبكاء لمفارقة الحياة قصيدة أبي البركات ابن الحاج البلّفيقي (ت 771هـ)، ومنها قوله:

تأسّفَ لكنْ حينَ عــزَّ التأسّفُ وكفكفَ دمعاً حينَ لا عينَ تذرفُ
ورامَ سكوناً وهو في رجلِ طائرٍ وناداى بأنــسٍ والمنازلُ تــهتفُ
أراقبُ قلــبي مــرةً بعدَ مــرةٍ فألفيهِ ذيّــاكَ الذي أنــا أعــرفُ
سقيمَ ولكنْ لا يُحسُّ بــدائــهِ سوى مَن لهُ في مأزقِ الموتِ موقفُ
وقد مرَّ من عمري الألذُّ وها أنا على ما مــضى من عهدِهِ أتــلهّفُ
وإنّــي على ما قد بقي منهُ إنْ بقي لحُرمةِ ما قد ضاعَ لي أتخــوّفُ(60)

ويصفُ الوزير إبن باجة (أبو بكر محمد بن يحيى الصائغ ت533هـ) الخوفَ من الموت ومحاولة الفرار منه، بعد نزوع النفس إلى أطايب الحياة وملاذها، فيقول:

أقولُ لنفسي حينَ قابَلَها الردى فراغتْ فراراً منهُ يُسرى إلى يُمنى
قري تَحمدي بعضَ الذي تكرهينَهُ فقد طالَ ما اعتدتِ الفرارَ إلى الأهنَى(61)

ويؤكّدُ أبو جعفر أحمد بن أيوب اللمائي (ت465هـ) معنى الطمع في الحياة فيقول وهو في حال مرض:

عَظُمَ البلاءُ فلا طبيبٌ يُرتَجى منهُ الشفاءُ، ولا دواءٌ ينجعُ
لم يبقَ شيءٌ لم أعالجْها بهِ طمعَ الحياةِ، وأينَ مَن لا يطمعُ؟(62)

ويتصلُ بالطمع في الحياة علاقات الشاعر الإنسان بالوطن والأحباب والجيران وما وراء ذلك من ذكريات عزيزة على القلب، ملتصقةٍ بالروح، فيعزُّ فراقُها، ويصعبُ تناسيها، وفي ذلك يقولُ أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن حمدون الحميري المالقي (ت القرن السابع الهجري) وقد أحسَّ بقرب الموت:

فؤادٌ بأيدي النائباتِ مُصابُ وجفنٌ لفيض الدمعِ فيه مَصابُ
تناءتْ ديارٌ قد ألفتُ وجيرةٌ فهل لي إلى عهد الوصالِ إيابُ
وفارقتُ أوطاني ولم أبلغِ المنى ودون مرادي أبحرٌ وهضابُ
مضى زمني والشيبُ حلَّ بمفرقي وأبعدُ شيءٍ أن يُردَّ شبابُ
إذا مرَّ عمرُ المرء ليس براجعٍ وإن حلَّ شيبٌ لم يُفدهُ خضابُ
فحلَّ حِمامُ الشيبِ في فَرقِ لمّتي وقد طار عنها للشباب غُرابُ(63)

وعندما يعصفُ الخوفُ من الموت بقلب أبي إسحاق ابن خفاجة (إبراهيم بن أبي الفتح ت533هـ) فإنه لم يجد بُدّاً من تذكّر ما كان من أمره في سابق حياته، فيقول:

ألا ساجلْ دموعي يا غَمامُ وطارحني بشجوكَ يا حَمامُ
فقد وفَّيتُها ستّينَ حولاً ونادتْني ورائي هل أمامُ
وكنتُ ومن لُباناتي لُبينى هناك ومن مراضعيَ المُدامُ
يُطالعنا الصباحُ ببطن حُزوى فيُنكرنا، ويَعرفنا الظلامُ
وكان بهِ البشامُ مراحَ أُنسٍ فماذا بَعدَنا فعلَ البشامُ؟
فيا شرخَ الشبابِ ألا لقاءٌ يُبَلُّ بهِ على يأسٍ أُوامُ
ويا ظلَّ الشبابِ وكنتَ تندى على أفياءِ سرحتكَ السلامُ(64)

ومن المعاني التي تطرّقَ إليها شعراء الأندلس في قضية الخوف من الموت هي خوف سلاطين الدولة والسياسة من سلطان الموت، فمن ذلك ما تضمنــته قصيدةُ المظفّر عبد الملك بن المنصور بن عبد العزيز بن الناصر بن المنصور بن أبي عامر (ت 548هـ)، حيثُ يقول فيها:

علمتُ بأنّ الدائراتِ تـدورُ ... وقد كُسفتْ مـنّا هناك بـدورُ
ونادى منادي البينِ فينا ترحّلوا ... فطارَ فـؤادٌ للفـراق جَـسورُ
ونُثّرَ سِلكٌ طال في المُلك نظمُهُ ... كذا كل نظمٍ فـي الزمان نَـثيرُ
خرجنا من الدنيا وكانت بأسرها ... تُصيخُ لـما نُـومي به ونُشيـرُ
وللهِ يـومٌ قد نـهضتُ بصدرهِ ... وحوليَ من صيد الكماةِ صُـقورُ
أثارَ به ركضُ الفوارسِ قسطلاً ... يُـرصّعـهُ للباتـراتِ قـتـيرُ
وقد جالَ جرارِ الذيول مُماصعٌ ... وطارَ إلى نـهب النفوس مُغيـرُ
وقد صَمّت الأسماع إذ جاشت النهى ... وحامت على مـا عُوّدَتهُ طيـورُ
وأُصدرت الراياتُ حمراً كأنّـها ... صدورُ حسانٍ مَـسّهنّ عَـبيـرُ
ألا بأبي ذاك الزمانُ الذي انقضى ... وتَعساً لدهـرٍ جاء وهـو عَـثورُ
تصابحُـنا فيـه الرزايا فـتارةً ... تُصِمُّ صماخاً أو تَجـيشُ صـدورُ(65)

ويختلط الخوفُ من الموت بالاستسلام له في قصيدة ملك غرناطة يوسف الثالث (ت819هـ)، في قصيدته التي يقول فيها:

خليليَّ لم يخشَ الردى حدُّ مُرهفي ... فـيا عجباً والموتُ صفحاتـه
وكيفَ يقيلُ الدهرُ للموتِ عَـثرةً ... ونحن نقيلُ الدهر من عثراتـهِ
وإنّـيَ من يُردي الكماةَ ثباتُـهُ ... وقد هدّ ركنَ الصبرِ في وثباتـهِ
وإنّـيَ مَن يخشى الملوكُ نزالَـه ... ولم يخشَ صرفَ الدهر من عزماته
وإنّي لَمَنْ تهوى الخلائقُ أن تُرى ... وقد جُعلتْ طُـراً فداءَ لذاتـهِ
وإنّـيَ من ترجو العفاةُ نوالَـهُ ... وتخشى أسودُ الحربِ حدَّ شباتـهِ
ومَن ترهب الأبطالُ سطوةَ بأسهِ ... ويرتاعُ منه الليثُ فـي أجماتـهِ
ولكنني لم ألقَ للموتِ رادعـاً ... يردُّ الذي قد خيفَ من سطواته(66)

....

الهوامش

(1)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت681هـ)- تح أحمد فريد رفاعي-ط عيسى البابي الحلبي بمصر-بدون تاريخ: 270/2، والوافي بالوفيات- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت 764هـ)- باعتناء مختلفين ومطابع مختلفة: 405/9.

(2) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت911هـ) - تح محمد أبو الفضل إبراهيم- مط عيسى البابي الحلبي -القاهرة 1965: 42/1.

(3)ديوان ابن فركون- تح محمد بن شريفة-مط النجاح الجديدة -الدار البيضاء 1987: ص 324.

(4) الروض المعطار في خبر الأقطار-محمد بن عبد المنعم الحميري-تح د.إحسان عباس-مكتبة لبنان-بيروت 1975: ص349.

(5) ديوان ابن الزقاق البلنسي- تح عفيفة محمود ديراني- دار الثقافة- بيروت: ص205.

(6) بغية الوعاة: 291/1.

(7) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- أحمد بن المقّري التلمساني (ت 1041هـ)- تح إحسان عباس- دار صادر -بيروت 1997: 383/5.

(8) الوافي بالوفيات: 531/17.

(9) نيل الابتهاج بتطريز الديباج: أحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ)-تح عبد الحميد عبد الله الهرامة- منشورات كلية الدعوة الإسلامية-طرابلس 1989: ص398.

(10) جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- أبو عبيد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي الحميدي (ت488هـ)-الدار المصرية للتأليف والترجمة- مط سجل العرب 1966: ص410.

(11) زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر- أبو بحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي (ت 598هـ)- تح عبد القادر محداد-دار الرائد العربي-بيروت1980: ص81، وتحفة القادم-ابن الأبار القضاعي- تح إحسان عباس- دار الغرب الإسلامي-بيروت 1968: ص25.

(12) بغية الوعاة: 417/1.

(13) الوافي بالوفيات: 531/17.

(14) تحفة القادم-أبو عبد الله محمد بن الأبار القضاعي البلنسي (ت685هـ)-تح إحسان عباس-دار الغرب الإسلامي- بيروت 1986.: ص38، والوافي بالوفيات: 176/5-7.

(15) الغُنية (فهرست شيوخ القاضي عياض ت 544هـ)- تح محمد بن عبد الكريم-الدار العربية للكتاب-ليبيا- تونس1978: ص154.

(16) مرج الكحل سيرته وشعره – تح صلاح جرار -دار البشير- عمّان 1993: ص133.

(17) ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي- تح محمد رضوان الداية-دار الفكر المعاصر-بيروت1991: ص 51-2.

(18)أعاد بناءه وعلّق عليه الدكتور إحسان عباس ونشرته دار الغرب الإسلامي في العام 1986.

(19) ص25.

(20) الإحاطة في أخبار غرناطة-لسان الدين بن الخطيب- تح محمد عبد الله عنان- دار المعارف بمصر 1955: 225/1.

(21)بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبي (ت599هـ)-دار الكاتب العربي- القاهرة 1967: ص418.

(22) بغية الملتمس: ص 418، وانظر تاريخ أئمة اللغة: ص148، ومطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس-أبو نصر الفتح بن خاقان القيسي الأشبيلي (ت529هـ)- تح محمد علي شوابكة-دار عمار ومؤسسة الرسالة-بيروت 1983: ص291-2، ونفح الطيب: 27/4.

(23) أنظر مطمح الأنفس: ص317.

(24) مطمح الأنفس: 318-9.

(25) مطمح الأنفس: ص320.

(26) نفح الطيب: 363/3.

(27) نفح الطيب: 424/3.

(28) ديوان أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الحكيم الداني-تح محمد المرزوقي-دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع-تونس1979: ص135.

(29) أنظر في ذلك المغرب في حلى المغرب- علي بن موسى بن سعيد الأندلسي (ت 685هـ) - تح شوقي ضيف- دار المعارف-القاهرة 1995: 53/1، 94/2، والحلة السيراء- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت 685هـ)- تح حسين مؤنس-دار المعارف-القاهرة 1985: 138/1.

(30) الحلة السيراء: 140/1-1.

(31) مطمح الأنفس: ص165-6.

(32)الحلة السيراء: 216/1.

(33) الحلة السيراء: 1/ 216.

(34) الحلة السيراء: 219/1-229. (35) ديوان ابن شهيد الأندلسي ورسائله- تح محي الدين ديب-المكتبة العصرية - بيروت 1997: ص63.

(36) الحلة السيراء: 46/2-7.

(37) ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية- تح حامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي- مط دار الكتب المصرية-القاهرة 1997: ص36-40.

(38) الحلة السيراء: 73/2.

(39) الحلة السيراء: 71/2.

(40) ديوان ابن زيدون- تح علي عبد العظيم- نهضة مصر- 1977: ص292-3.

(41) ديوان ابن زيدون: ص300-1.

(42) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت542هـ)-تح سالم مصطفى البدري- دار الكتب العلمية- بيروت1998: 244/2، والحلة السيراء: 135/2.

(43) الحلة السيراء: 2/ 137-8.

(44) أنظر جواب المعتمد على هذا البيت في ديوانه: ص52.

(45) الحلة السيراء: 154/2.

(46) الذخيرة: 223/2.

(47) نفح الطيب: 185/5.

(48) نفح الطيب: 186/5.

(49) الحلة السيراء: 146/1-7.

(50) كتاب المقتبس في تاريخ الأندلس- ابن حيان الأندلسي-تح اسماعيل العربي- دار الآفاق الجديدة- المغرب 1990: ص56.

(51) بغية الوعاة: 155/1.

(52) زاد المسافر وغرة محيا الأدب السافر-أبو بحر صفوان بن ادريس التجيبي المرسي (ت589هـ)- تح عبد القادر محداد- دار الرائد العربي- بيروت 1980: ص135.

(53) البسطي آخر شعراء الأندلس- محمد بن شريفة- دار الغرب الإسلامي- بيروت 1985: ص41.

(54)ديوان ابن حمديس الصقلي – تح إحسان عباس- دار صادر ودار بيروت- بيروت 1960: ص519.

(55) معجم الأدباء- شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي (ت626هـ)- نشرة أحمد فريد الرفاعي- دار إحياء التراث العربي-بيروت بدون تاريخ: 218/18، ونفح الطيب: 249/2.

(56) الحلة السيراء: 316/2-7.

(57) ديوان عبد الكريم القيسي الأندلسي -تح جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي-بيت الحكمة-تونس 1988: ص411.

(58) زاد المسافر: ص82.

(59) تحفة القادم: ص73-74.

(60) شعر أبي البركات ابن الحاج البلفيقي- تح عبد الحميد عبد الله الهرامة- مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي-1996: ص50-5.

(61) قلائد العقيان: ص737.

(62) تاريخ الأدب العربي- عمر فروخ- دار العلم للملايين-بيروت – ط2 1985: 606/5.

(63) نفح الطيب: 609/2.

(64) ديوان ابن خفاجة – تح سيد غازي- منشأة المعارف بالإسكندرية- ط2 1979: ص64-5.

(65) المغرب في حلى المغرب:301/2-3.

(66) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث-تح عبد الله كنون –مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة 1965:ص 16-17.